محاضرة 2: علاقة الفلسفة بالثقافة: جدلية الفكر والمجتمع

تمهيد: العلاقة بين الثقافة والمجتمع من القضايا الأساسية في الفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث، إذ تُحدّد مكانة الأفكار والقيم والرموز ضمن البنية الاجتماعية. وقد اختلف المفكرون حول طبيعة هذه العلاقة: كيف تُعرّف العلاقة بين الثقافة والمجتمع؟ هل هي علاقة انعكاس، أم تأثير، أم تفاعل جدلي؟

1- تعريف الثقافة:

أ- مالك بن نبي عرف الثقافة بأنها:

- مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي وُلد فيه
- وفي موضع آخر يوضح أن الثقافة هي: " البيئة التي تشكّل طباع الفرد وشخصيته في المجتمع "

ب- إرنست كاسيرر يرى بأن البشر لا يعيشون في عالم مادي مباشر، بل في عالم من الرموز التي يصنعونها بأنفسهم. فـ" البشر كائنات رمزية تعيش في كون رمزي من صنعها"، ولذلك الثقافة هي: "مجموع الأشكال الرمزية التي ابتكرها الإنسان، كاللغة والأساطير والدين والفن والعلوم".

ج- تايلور: " الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل العادات والتقاليد والأعراف وكل المعارف التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع "

2- الثقافة من الغياب إلى الحضور كموضوع للفلسفة:

كانت الفلسفة التقليدية تهتم بالوجود والمعرفة والقيم، لكنها لم تدرس "الثقافة" كمجال مستقل حتى القرن الثامن عشر، حيث بدأ هذا الاهتمام خاصة في الفلسفة الألمانية مع يوهان غوتفريد هردر (Johann Gottfried Herder) أول من طور فلسفة للثقافة كتعبير عن روح الشعب، أو تعبير عن الأسس الروحية للمجتمع.

أما في الفلسفة المثالية نجد ف.هيغل يرى أن الثقافة هي إحدى مراحل تطور الفكرة المطلقة، وهي الفكرة عندما تنتقل من طابعها المجرد إلى الطابع الروحي الموضوعي، أي مرحلة تحقيق العقل في التاريخ أو الواقع، فالثقافة هي عقل المجتمع.

" تيري إيغلتون (T.EAgleton): يرى أن الفلسفة ليست بمعزل عن الثقافة، بل هي نتاج ثقافي يتأثر بسياقها التاريخي والاجتماعي، فـ"الفلسفة لا توجد بمعزل عن الواقع، بل هي جزء من الصراعات الثقافية".

وفي الحقيقة فإنه ابتداء من ماركس ونيتشه وفرويد أصبحت الثقافة موضوع الفلسفة بامتياز، حيث أصبحت تقدم أدوات لنقد الثقافة: تفكيك الأيديولوجيات مع جاك دريدا، كشف علاقات السلطة مع فوكو، نقد ثقافة الاستشراق والاستعمار مع إدوارد سعيد...

3- علاقة الثقافة بالمجتمع:

أ- ماركس: يرى ماركس أن المجتمع يتكوّن من بنيتين: البنية التحتية الاقتصادية، والبنية الفوقية التي تضم الثقافة والقانون والدين والفكر. ويؤكد أن الثقافة تعكس مصالح الطبقة المسيطرة، فالأفكار السائدة في كل عصر هي

أفكار الطبقة السائدة ، وبذلك تصبح الثقافة في المجتمع الرأسمالي أداة لترسيخ قيم الفردية والملكية والمنافسة.

مناقشة: ماركس يعطي للثقافة طابعا ايديولوجيا، فهي ايديولوجيا الطبقة المهيمنة على المجتمع، وبالتالي تتحول الثقافة إلى أداة للصراع الثقافي والاجتماعي.

ب-دوركهايم: يرى إميل دوركايم أن المجتمع يمتلك واقعًا معنويًا خاصًا سماه الوعي الجمعي، وهو مجموع المعتقدات والقيم المشتركة بين أفراده، فالثقافة فالدين، عنده، ليس وهمًا بل تعبير رمزي عن المجتمع، والطقوس الدينية تعزز التضامن الاجتماعي.

مناقشة:

يعطي دوركهايم الثقافة هنا وظيفة اندماجية تحافظ على تماسك المجتمع، لكن هذا التصور يركز على الاستقرار أكثر من الصراع والتغيير.

ج- بورديو: يقدم بورديو تصورا جدليا للعلاقة بين الثقافة والمجتمع، ففي الوقت الذي ينتج فيه المجتمع الثقافة، فإن الثقافة بدورها تعيد إنتاج أنماط المجتمع وسلوكاته، عن طريق ما سماه برأس المال الثقافي، ويضرب على ذلك مثلا المدرسة التي تبدو محايدة، لكنها في الحقيقة تعيد إنتاج الفوارق الطبقية، وهذا ما يفسر هيمنة سمات الأغنياء بسبب رأس مالهم الثقافي القوي.

خلاصة: تبدو وجهة نظر بورديو أقرب إلى الحقيقة في التعبير عن العلاقة بين المجتمع والثقافة، حيث العلاقة بينهما جدلية، أي يؤثران على بعضهما البعض تأثيرا متبادلا ومختلفا من مجتمع إلى آخر، فالثقافة قد تكون ناقدة للمجتمع في صراع معه ومع قواه الطبقية والاجتماعية، وقد تلعب من جهة أخرى دور المنسق والموحد الذي يعمل على انسجام المجتمع ووحدته، وقد تكون العلاقة جدلية بحيث يظهر التأثير المتبادل للثقافة والمجتمع.